



خطبة صلاة الجمعة 25/5/2012 للشيخ الطبيب حمد حير السعال, في جامع أنس بن مالك، المالكي، دمشق

www.dr-shaal.com

(الأزمة وتصحيح النية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفة، خير نبي اجتباه، هدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي

هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة:5].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:18-21].

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ))⁽¹⁾.

⁽¹⁾ أخرجه ابن ماجه في "سننه" [4/195]، وأحمد في "مسنده" [15/44].

وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))⁽²⁾.

عنوان خطبة اليوم:

(الأزمة وتصحيح النية)

قرأتُ في واحدة من لافتات انتخابات الرئاسة المصرية قبل أيام عبارة استرعت الانتباه، تقول:

(صَحِّحْ نيتك وأنت تنتخب، اجعلها تقرباً إلى الله بإعطاء صوتك مَنْ يخدم دينه ويرعى عباده).

يَقْصُرُ بعضُ النَّاسِ النِّيَّةَ على قوله قبل الصَّلَاة: "نويتُ أن أصلي أربع ركعات فرض الظهر"، أو قوله قبل الوضوء: "نويت أن أتوضأ من هذا الماء الطَّاهِر"، أو قبل الحج: "نويت الحج وأحرمت به لله تعالى لبيك اللهم لبيك"... ولم يعلم أنَّ النِّيَّةَ مطلوبةٌ في كلِّ عملٍ خيرٍ أو مباحٍ، لأنَّه بالنِّيَّةِ الصَّحِيحةِ يحوِّلُ عاداته إلى عبادات، وأعماله الاجتماعية إلى طاعات.

فلا فَرْقَ عندنا -نحن المسلمين- بين أدائنا لصلاتنا في المساجد وقيامنا بالبيع والشراء في الأسواق، هذا عبادة وهذا عبادة إذا صَحَّتْ النِّيَّةُ وسَلِمَ الفعل. ولا فَرْقَ عندنا -نحن المسلمين- بين دفعنا لركاتنا ودفعنا للظُّلم عن المظلومين، هذا عبادة وهذا عبادة إذا صَحَّتْ النِّيَّةُ وسَلِمَ الفعل.

ولا فَرْقَ عندنا -نحن المسلمين- بين اهتمامنا بحفظ القرآن والحديث واهتمامنا بحفظ الأموال والأعراض، هذا عبادة وهذا عبادة إذا صَحَّتْ النِّيَّةُ وسَلِمَ الفعل. من هنا أذكُرُ أنَّ واحداً من الصَّالحين تواعد مع صديقٍ له لزيارة مريض، فلمَّا مرَّ أمام بيته ينتظر خروجه قال له: رُويديك حتَّى استحضر نيتي.

وقد كان زيد الشَّامي يقول: "إِنِّي لأحِبُّ أن تكون لي نية في كلِّ شيء حتَّى في الطَّعام والشراب". وكان يحيى بن أبي كثير يقول: "تعلموا النِّيَّةَ فَإِنَّهَا أبلغ من العمل".

⁽²⁾ أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (1) و(6689)، ومسلم في "صحيحه" رقم (1907).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

أَوَّلُ دَرَسٍ يَعْلَمُهُ أَهْلُ التَّربِيَةِ الرُّوحِيَّةِ طُلَابُهُمْ تَصْحِيحُ النَّيَّةِ، وَأَوَّلُ حَدِيثٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَفِي الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَنَّفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ: **((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))**. لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَا وَافَقَ نِيَّتَهُ. فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ صَالِحَةً أُثِيبَ وَأُجِرَ، وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَالِحَةً عُوقِبَ وَزُجِرَ، وَإِنْ كَانَتْ مَبَاحَةً فَلَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ. فَحُظَّ الْعَامِلُ مِنْ عَمَلِهِ نِيَّتَهُ **((وَأِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى))**.

هَذِهِ النَّيَّةُ هِيَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَنْهَا الْعَارِفُونَ فِي كَلَامِهِمْ عَنِ الْإِخْلَاصِ وَتَوَابِعِهِ. وَلَئِنْ كَانَ تَصْحِيحُ النَّيَّةِ مَطْلُوباً دَائِماً فَإِنَّ لَهُ صِلَةً فِي الْأُزْمَةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا بِالْإِخْوَةِ الْمُسْكِنِينَ لِلْأُزْمَةِ.

فَقَدْ سَبَقَ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- فِي خُطْبَةٍ مَضَتْ أَصْنَافُ النَّاسِ فِي الْأُزْمَةِ. وَذَكَرْتُ أَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ: مُؤَجَّجٌ، وَمُسْكِنٌ، وَغَيْرُ مَبَالٍ.

فَالْمُؤَجَّجُ: هُوَ مَنْ لَا يَكْفُ عَنِ الْإِفْسَادِ يُثُتُّ الْأَرَاخِيفَ وَيَنْشُرُ الْأَكَاذِيبَ وَيَمْهَرُ فِي الْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ وَالتَّحْرِيفِ وَيَنْصُرُ الظُّلْمَ وَيَدْعُمُ الْبَاطِلَ وَيَبْغِي لِلْبِرِّاءِ الْعَيْبَ وَالْعَنْتَ. وَغَيْرُ الْمَبَالِي: هُوَ الْمَشْغُولُ بِنَفْسِهِ، الْمَفْتُونُ بِشَهَوَاتِهِ، فَكَأَنَّهُ وَهُوَ فِي النَّاسِ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ. وَالْمُسْكِنُ: هُوَ ذَاكَ الْخَيْرُ الْعَامِلُ عَلَى تَضْمِيدِ الْجِرَاحِ وَتَسْكِينِ الْأَلَامِ، يَحْمِلُ الْكُلَّ، وَيُسَاعِدُ الْحَاجَّ، وَيَفْكُ الْعَانِي، وَيَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

وَهَذَا الْآخِرُ الْمُسْكِنُ لِلْأُزْمَةِ -وَهُوَ كَثِيرٌ بَيْنَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- بِحَاجَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى مَسْأَلَةِ تَصْحِيحِ النَّيَّةِ فِيمَا يَفْعَلُ، لِيَكُونَ عَمَلُهُ كُلُّهُ عِبَادَةً وَيَكُونَ سَعْيُهُ كُلُّهُ جِهَاداً.

فَمَوْظُفَةٌ فِي جَمْعِيَّةٍ خَيْرِيَّةٍ مَهْتَمَةٌ بِمُسَاعَدَةِ الْمُتَضَرَّرِينَ، تَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ ثَمَانِي سَاعَاتٍ فِي تَسْلِيمِ الْمَعُونَاتِ لِلْمُنْكَوِبِينَ. إِذَا كَانَتْ تَقُومُ بِعَمَلِهَا هَذَا لِأَدَاءِ وَاجِبِهَا الْوُظَيْفِيِّ وَحَسَبِ وَلْتَقَاضِي رَاتِبِهَا الشَّهْرِيِّ وَفَقَطْ؛ فَإِنَّ عَمَلَهَا هَذَا حَسَنٌ لَكِنَهَا لَا تَثَابُ عَلَيْهِ، مَا لَمْ تَتَوَّ بِه تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ بِخِدْمَةِ عِبَادِهِ وَبِرْهِمِ.

وَشَابَتْ جَامِعِي تَطَوُّعٍ فِي مَوْسَسَةِ خَيْرِيَّةٍ وَسَاهِمٍ فِي حَمَلَةِ إِعَانَةِ الْمُتَضَرَّرِينَ، يَبْذُلُ مِنْ وَقْتِهِ السَّاعَاتِ الطَّوَالَ وَمِنْ جَهْدِهِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ نَاوِيّاً بِهَذَا الْحَصُولِ عَلَى شَهَادَةِ عَمَلٍ طَوْعِيٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَوْسَسَةِ لِيُضَيِّفَهَا إِلَى خَبْرَاتِهِ فِي سِيرَتِهِ الدَّائِيَّةِ. عَمَلٌ عَمَلاً حَسَناً وَلَكِنْ لَا يَثَابُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْوِي بِذَلِكَ عِبَادَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَتَقَرُّباً إِلَيْهِ.

وأسمع عن متطوعين يعملون بإسعاف الجرحى ويتطوعون في منظمات إغاثة من منطلق إنساني، وآخر وجهه يساعد في إطلاق المسجونين ظلماً من منطلق النخوة، وآخر يعين في دفع الظلم من منطلق الحمية، وغيرهم من منطلق الشجاعة، وآخر يتخذ موقفاً نصرته لحزب أو معاداة له، وهكذا

وكل هؤلاء يعملون، لكن الأجر والثواب للعمل الخير مرهون بالنية الصالحة. نية التقرب إلى الله تعالى، إذ **((الأعمال بالنيات))**.

وإني داع هؤلاء جميعاً أن يقرنوا أعمالهم الخيرات بالنوايا الصالحات لنحصل جميعاً خيري الدنيا والآخرة.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **((مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْوَ إِلَّا عَقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى))**⁽³⁾.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **((إِنَّ أَكْثَرَ شَهْدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرْشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ))**⁽⁴⁾.
وسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يُقَاتِلُ حِمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: **((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))**⁽⁵⁾.

أيها الإخوة:

من فوائد تصحيح النية أن المرء يصيبه التعب حيناً من عمله الخيري، وربما تسلل اليأس إلى نفسه فإذا استحضر رضا مَنْ يطلب وُودَ مَنْ يخطبُ، هان عليه بذله واستعاد نشاطه في العمل الخيري.

ولعل امرئاً خيراً يصاب بضيق من بعض من يساعدهم أو يساندهم من المتضررين إذ يجد منهم جُحوداً وعدم شكر، أو يجد فيهم تماوياً في الطاعات وتفريطاً في معونة بعضهم وربما أساء واحدٌ منهم لأخيه وجاره، فيصاب صانع المعروف بضيق وألم، وربما دعاه شيطانه إلى ترك معونتهم فإذا تذكر المرء نيته وذكر أنه يقدم لهم العون تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته وهو لا يبحث

⁽³⁾ أخرجه النسائي في "سننه" [6/24]، وأحمد في "مسنده" [37/365].

⁽⁴⁾ أخرجه أحمد في "مسنده" [6/314].

⁽⁵⁾ أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (7458)، ومسلم في "صحيحه" رقم (1904).

منهم على جزاءٍ ولا شكور عاد إلى همته في خدمة الخلق تقرباً للخالق ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿ [الإنسان: 9-12].

ومن فوائد صحيح النية أن امرءاً ربماً وافاه أجله بعد أن نوى وقبل أن يعمل، وربماً عجز عن العمل بعد أن نوى، فينال بنيته ما لم ينل بعمله.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ))⁽⁶⁾.
وعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ))⁽⁷⁾.
قال شراح الحديث: في هذا الحديث أن من نوى شيئاً من أعمال البر صادقاً من قلبه أثيب عليه وإن لم يتفق له ذلك.

ختاماً أيها الإخوة:

المطلوب من كلِّ أخٍ فينا مع نيته في هذه الأزمة أمورٌ ثلاثة:

أولها: استحضار النية في كلِّ عملٍ خيرٍ أو مباحٍ لعمله.

ثانيها: تصحيح النية، إن شعرت أن نيتك لم تكن صحيحة، أو كانت صحيحة ثمَّ تغيَّرت.

ثالثها: تعظيم النية، فقد كان الصَّالحون يقولون: عَظِّمُوا نَوَايَاكُمْ فَإِنَّكُمْ تَوْجِرُونَ بِهَا.

استحضار وتصحيح وتعظيم.

ترجم الإمام الذهبي -رحمه الله- في كتابه النَّفِيس سير أعلام النبلاء لعمر بن الليث الصَّقَّار

فقال:

"كان سلطاناً على خراسان، توفي سنة تسعٍ وثمانين ومائتين للهجرة، ودامت دولته نيفاً

وعشرين سنة. قال: رُؤي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟

⁽⁶⁾ أخرجه النسائي في "سننه" [3/258]، وابن ماجه في "سننه" [1/426].

⁽⁷⁾ أخرجه النسائي في "سننه" [3/258]، وابن ماجه في "سننه" [1/426].

قال: أشرفت يوماً من جبلٍ على جيوشي فأعجبني عددهم وعدُّهم فتمنَّيتُ أنِّي كنتُ في زمن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتَّى أنصره بهم فاطلع الله على نيتي فغفر لي وأدخلني الجنة".

قال عبد الله بن المبارك: "ربَّ عمل صغير تعظِّمه النِّية، وربَّ عمل كبير تصعِّره النِّية".

والحمد لله رب العالمين